لمحات عن النشاط الثوري لمحمد بوضياف بالخارج 1954- 1956

الدكتور/ عمر بوضربة
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة :

ذكر المناضل مُحَمَّد بوضياف في مقاله الشهير "التحضير لأول نوفمبر1954" أن "حزب الشعب الجزائري PPA أصبح منذ ذلك الوقت الحركة التي تعلقت بها آمال الجزائريين. لقد أحدث اضطهاد 1945 تطهيرا داخل الحركة. كثير من المسؤولين القدماء التحقوا بحزبUDMA أو توقفوا عن كل نشاط. وموازاة لذلك التحق بالحزب عدد كبير من الشبان العائدين من الحرب ومعظمهم من مدن وقرى الداخل، فأزاح وصولهم الإطار التقليدي المتأصل في المدن والعاصمة، وأبرز اتجاهات أشد تصلبا ترمي إلى إقامة تنظيم أكثر صلابة وأقوى بنية ومزود بخطة ثورية"[1].وقد كان مُحَمَّد بوضياف من هؤلاء الشباب الذين التحقوا بالتيار الثوري الاستقلالي ممثلا في حزب الشعب وبدأوا نضالهم لدفع الحزب للسير قدما باتجاه تحضير العمل المسلح في إطار المنظمة الخاصة التي تم تأسيسها في مؤتمر الحزب سنة 1947.وبعد انفجار الأزمة صفوف الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية MTLD لعب رفقة مجموعة من مناضلي المنظمة الخاصة(OS)

1- عضو اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية 1954/50،ثم ممثلا لجبهة.ت.و في نيويورك 1958/55،ثم وزيرا للإعلام في ح.م.ج.ج. 1961/58،فوزيرا للمالية في حكومة أحمد بن بلة،وترأس المركز الوطني للدراسات الاستراتيجية الشاملة، ينظر:
Mohamed Harbi:Le FLN mirage et réalité,ED NAQD,Alger, 1993 ,p :400.

دورا محوريا في محاولة رأب الصدع بين الصفين المتنازعين (المصاليين والمركزيين) وفي محاولة الانتقال إلى العمل المسلح كحل لتجاوز الأزمة والقفز إلى الأمام في إطار تنفيذ المشروع الثوري من خلال CRUA،وبعد فشل المساعي للإصلاح مضى بوضياف رفقة بن بولعيد ديدوش وبن مهيدي بالخصوص باتجاه تأسيس حركة ثورية عمادها قدامى المنظمة الخاصة.

لقد كان دور بوضياف محوريا خلال التحضير للعمل المسلح ضمن المنظمة الخاصة وخلال أزمة الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، حيث سعى لتجاوزها بمحاولة الإصلاح بين طرفي الأزمة (المصاليون والمركزيون) في مرحلة أولى ثم عمل رفقة النواة القيادية الأولى للثورة للانتقال إلى العمل الثوري المسلح كحل للأزمة، فما الدور الذي لعبه بعد ذلك بعد التحاقه بالخارج وعجزه عن مواصلة مهامه الثورية بالداخل منسقا للجنة الستة من نوفمبر 1954 إلى 22 أكتوبر 1956؟.

1- بوضياف المنسق الوطني يلتحق بالوفد الخارجي للجبهة:

يتفق الكثير من الباحثين لتاريخ الثورة الجزائرية على معطيين أساسيين تكاد تجزم بهما الوقائع والقرائن:

ففيما يتعلّق بالأهداف والمبادئ التي اعتمدتها ديبلوماسية جبهة التحرير الوطني طيلة فترة الثورة الجزائرية 54-1962، فهي مستوحاة من استراتيجية الحركة الوطنية الاستقلالية، ونعني بها الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية وذلك من خلال نشاطها الخارجي في الفترة الممتدة من 1945 إلى 1954.

وفيما يتعلّق برواد العمل الدبلوماسي لجبهة التحرير فهم إطارات في الحركة الوطنية، وتنتمي غالبيتهم إلى الجيل الذي عزّز صفوف الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية، وتكوّنوا في صفوفها وتشبّعوا بمبادئها، على أنّه من المهم التأكيد على أن الجيل المؤسّس للنشاط الخارجي للجبهة هو من قيادة المنظمة الخاصة (***O.S***) التابعة للحركة ا.ح.د ونعني بهم: محمّد خيضر وأحمد بن بلّة وحسين آيت أحمد، ثم تعزّز الوفد

بعناصر من المركزيين ومن الاتحاد الديمقراطي ومن جمعية العلماء[1]، أضافوا لمستهم المميّزة في مجال التنظيم والتنشيط بحكم مستواهم الدراسي العالي.

ذكر محمّد يزيد[2] أحد الرواد المؤسسين لديبلوماسية جبهة التحرير الوطني في تقرير له إلى المجلس الوطني للثورة الجزائرية في جويلية 1957، جملة من الحقائق الهامّة التي قدّمت رسما دقيقا لأهداف واستراتيجية جبهة التحرير الوطني وكذا أهم المواعيد التي سجّلت من خلالها الجبهة حضورها[3]، وعموما يمكن تلخيصها في المحاور التالية:

- أن محمّد بوضياف نقل إلى الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني في بداية نوفمبر 1954 تعليمات قيادة الثورة بالداخل بشأن أولويات العمل الخارجي أو الدبلوماسي من أجل تدويل القضية الجزائرية، والتي تمحورت حول ثلاث خطوات رئيسة هي:

أ- العمل على إخراج المشكل الجزائري من الإطار الفرنسي.

ب- نقل المشكل الجزائري إلى مستوى المشكل التونسي والمغربي على الصعيد الدولي.

ج- طرح القضية الجزائرية على هيئة الأمم المتحدة سواء في مجلس الأمن[4] الدولي أو في الجمعية العامة[5] للأمم المتحدة.

1- اعترف محمّد يزيد في تقريره إلى المجلس الوطني للثورة الجزائرية بالدعم التونسي والمغربي للبعثة الجزائرية والذي يعتبره عاملا من عوامل نجاح البعثة الجزائرية في مهامها، ينظر:

Mohammed Harbi:Les archives de la révolution algerienne, Ed Jeune Afrique, France,p172.

2- هيئة دولية تابعة للأمم المتحدة،مكوّنة من ممثلين عن خمس عشرة دولة،خمس منهم أعضاء دائمون والبقية ينتخبون لمدة سنتين من الجمعية العامة،من أبرز أهدافه:الحفاظ على السلام والأمن الدوليين.ويحق لكل عضو من الخمسة الدائمين أن يعترض على أي قرار يتخذه مجلس الأمن،وبالتالي منع إصداره باستعمال حق الفيتو،ينظر:جرجس جرجس:معجم المصطلحات الفقهية والقانونية،مراجعة القاضي أنطوان الناشف،الشركة العالمية للكتاب،ط1،بيروت،لبنان،1996،ص274.

3- جهاز تداولي لمنظمة الأمم المتحدة تجمع ممثلي الدول الأعضاء كافة،وهو جهاز ينعقد بكامل أعضائه،عد إلى:جيرار كورنو:معجم المصطلحات القانونية،ج1(أ-ش)،ترجمة منصور القاضي،المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع،ط1،بيروت،لبنان ،1998،ص635.

4- عامر رخيلة:المرجع السابق،ص 100.

5 - Mohammed Harbi: Les archives de la révolution algerienne,op cit,p172.

لقد تركّزت النشاطات الأولى لأعضاء الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بعيد الفاتح من نوفمبر 1954 على:

1- تحقيق انشغال أساسي ألا وهو الحصول على اعتراف للوفد الخارجي باعتباره المعبّر الحقيقي أو الواقعي للمقاومة الجزائرية، التي تقودها حركة فتية انبثقت عن أزمة الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، يجهلها الكثيرون في أرض الوطن فما بالك على الصعيد العربي والإقليمي والدولي.

2- تكوين جبهة خارجية موحّدة مع التونسيين والمغاربة وهو الخيار الذي أصبح يشكّل ضرورة ملحة، خاصّة بعد الدعم غير المشروط الذي قدّمته البعثتان الخارجيتان التونسية لحزب الدستور الجديد بقيادة صالح بن يوسف والمغربية لحزب الاستقلال بقيادة علاّل الفاسي للبعثة الجزائرية خلال الفترة الصعبة لسنة 1955، وهو الدعم الذي تجسّد في التحضير لمؤتمر باندونغ وخوض غمار التدويل من خلال الدورة العاشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة.[1]

3- وتنفيذا لتعليمات القيادة بالداخل ركّز الوفد الخارجي جهوده على البلدان العربية التي تشكّل امتدادا طبيعيا وحضاريا وحليفا طبيعيا لروابط اللغة والدين والتاريخ المشترك، ثم التوجه كذلك صوب بلدان جنوب شرقي آسيا، وبموازاة ذلك العمل للضغط على الجامعة العربية، خاصّة بعد التحفظ الذي أبدته معظم الدول العربية لاتخاذ أفعال غير التصريحات والبيانات "الحذرة"، فقد احتجت معظم البلدان بعائق المظهر القانوني للقضية الجزائرية، فالمملكة العربية السعودية الوحيدة من بين كل الدول العربية التي قدّمت دعمها و وقّعت على رسالة موجّهة لرئيس مجلس الأمن الدولي، الرسالة تضمّنت لفت نظر المجلس للوضع في الجزائر، لكن دون أن تطلب عقد اجتماع لمناقشة المسألة الجزائرية[2]

1 -A .N.O.M: FONDS MINISTÉRIELS, Premier ministre, 81F/110, Notice de Documentation(très secret), Les animateurs de la Rébellion Algérienne, T I (A)Ait Ahmed Hocine, pp: 25.

2- ذكر محمّد خيضر في محضر استنطاقه من طرف السلطات الأمنية الفرنسية على اثر اختطافه رفقة زملائه الزعماء بأن آيت أحمد و بن بلّة التحقا بالقاهرة في منتصف سنة 1951،لكن بن بلّة ذكر في حواره مع أحمد منصور "شاهد على العصر"بأنه وصل القاهرة في أوت 1953،وهو ما أكدته التقارير الفرنسية بشأنه،حيث تذكر هذه المصادر الفرنسية بأن بن بلّة استصدر رخصة مرور باسم مستعار "مسعود مزياني"في أوت 1953 دخل بها التراب المصري،أما آيت أحمد فقد التحق حسب ذات المصادر بالقاهرة في 22جويلية 1952،ينظر:

2- بوضياف وبن بلة ومهمة التموين والتمويل ضمن وفد ج.ت.و:

تعزّز الوفد الخارجي للحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية بالقاهرة منذ مطلع الخمسينات بعناصر جديدة شابة وفاعلة مفعمة بالحيوية، ففي جوان 1951 قدم إلى القاهرة مُحَمَّد خيضر حيث أصبح نائبا للشاذلي المكي، وفي منتصف سنة 1952 التحق حسين آيت أحمد (22جويلية)[1] وبعده بسنة تقريبا التحق أحمد بن بلّة في أوت 1953[2]، وقد ضُمّ هذان المناضلان النشيطان إلى الوفد الخارجي للحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، مع الإشارة إلى أنّ هؤلاء الثلاثة كانوا متابعين فيما عرف بقضية اكتشاف المنظمة الخاصّة سنة 1950 باعتبارهم من قادتها البارزين، وستعرف قيادة الوفد الخارجي تغييرا على رأسها فبعد إقصاء الشاذلي المكي في أكتوبر 1952 من قيادة الوفد عين مُحَمَّد خيضر خلفا لـه بصفته ممثلا ح.إ.ح.د.[3]

عبد الحميد زوزو:محطات في تاريخ الجزائر-دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية (على ضوء وثائق جديدة)،دار هومة،2004،الجزائر، ص ص:489-495.لكن حسين آيت أحمد ذاته ذكر في "روح الاستقلال"بأنّه وصل القاهرة في ماي 1952 بجواز مرور يحمل اسم"سعيد فرحي"سلمه إياه مصطفى عبد المنعم سفير مصر ببيرن-سويسرا- ،ينظر:حسين آيت أحمد:روح الاستقلال المصدر السابق،ص ص:248-251،وينظر كذلك:

A.N.O.M:81F/110,Op cit, Les animateurs de la Rébellion Algérienne, T II (B-Bi)Ben Bella Ahmed, pp: 81,82.

1- هذا ما ورد في محضر استنطاق مُحَمَّد خيضر،لكن بن بلّة ذكر في شهادة له بأنّه وصل إلى القاهرة في أوت 1953، عد إلى محضر استنطاق مُحَمَّد خيضر إثر اعتقاله بالدار البيضاء (الجزائر)رفقة زملائه الأربعة بتاريخ 1956/10/22 في: عبد الحميد زوزو:محطات في تاريخ الجزائر، المصدر السابق، ص ص:489-495.

وذكر مُحَمَّد الأمين بلغيث بأن كل من مصالي واللجنة المركزية أقصيا الشاذلي المكي من تمثيل ح.إ.ح.د.سنة 1952 وذلك لأسباب تأديبية،دون أن يذكر الأستاذ مصدره في هذه المعلومة،ينظر:مُحَمَّد الأمين بلغيث:الجزائر في باندونغ-مذكرة الشاذلي المكّي إلى المؤتمر-الطبعة الأولى،دار كتاب الغد للنشر والتوزيع،جيجل،الجزائر،2007،ص 12.

عبد الحميد زوزو:محطات في تاريخ الجزائر،المصدر السابق، ص ص:489-495. و: أحمد منصور:الرئيس أحمد بن بيلا..يكشف أسرار ثورة الجزائر–كتاب الجزيرة –شاهد على العصر-الدار العربية للعلوم-ناشرون- دار ابن حزم،ط الأولى،2007،ص 90.

2- عُد إلى محضر استنطاق مُحَمَّد خيضر، المصدر السابق في: عبد الحميد زوزو:محطّات في تاريخ الجزائر – المصدر السابق، ص ص:489-495. لكن عبد الرحمن كيوان ذكر بأنّ سبب استبعاد الشاذلي المكي من الوفد كان بسبب وقوفه إلى صف مصالي الحاج ووفق ذلك فإنّ هذا الأمر يكون قد حدث في سنة 1954،لكن كل المصادر والمراجع التي اطّلعنا عليها في الموضوع تؤكّد أنّ الاستبعاد تمّ في سنة 1952 كما ذكر ذلك مُحَمَّد خيضر في محضر استنطاقه. ينظر:

Abderrahmane Kiouane:Les Débuts D'une Diplomatie de Guerre(1956-1962)-journal d'un Délégué à l'extérieur,Editions Dahlab,Alger,2000,p5.

3- عبد الحميد زوزو: محطات،المصدر السابق، ص 491.وينظر كذلك:

وفي أعقاب الأزمة التي عصفت بالحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية ما بين جوان 1953 إلى منتصف سنة 1954 وتشكيل اللجنة الثورية للوحدة والعمل (*C.R.U.A*)، في هذه الأثناء كانت بعثة ح.أ.ح.د تتشكّل من: أحمد بن بلّة، حسين آيت أحمد ومُحَمَّد خيضر، لينقسم الوفد ويصبح بن بلّة وآيت أحمد وخيضر ممثلون لجبهة التحرير الوطني حديثة الولادة ثم التحق بهم مُحَمَّد يزيد المركزي، بينما أصبح أحمد مزغنة الذي التحق بالقاهرة منذ نهاية صيف 1954 ممثلا للتيار المصالي رفقة الشاذلي المكي.[1]

تعزّز الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بعد ذلك بقدوم عدة عناصر أوفدتهم قيادة الجبهة في الداخل، أقل ما يمكن أن يقال بشأنهم أنهم كانوا من العناصر السياسية الكفأة ومن مختلف تيارات الحركة الوطنية:

وإلى غاية سبتمبر أكتوبر 1956 كان الوفد الخارجي يتشكّل من:

مُحَمَّد خيضر، أحمد بن بلّة، حسين آيت أحمد، مُحَمَّد لمين دبّاغين، فرحات عبّاس، مُحَمَّد يزيد، حسين لحول، أحمد بودة، أحمد توفيق المدني، عبّاس بن الشيخ الحسين، أحمد فرنسيس، عبد الرحمن كيوان.[2]

وبعد ذلك تم توزيع المهام فيما بين الأعضاء فتكفّل مُحَمَّد خيضر بالشؤون السياسية والمالية بينما تكفّل أحمد بن بلّة وبوضياف وبالشؤون العسكرية-العتاد- والاتصال بالداخل[3]، وتكفّل حسين آيت أحمد بمساعدة مُحَمَّد يزيد بالتدويل خاصّة من خلال منظمة هيئة الأمم المتحدة، في حين تمّ تكليف حسين لحول بالدعاية للثورة في أندونيسيا وجنوب شرقي آسيا، بينما كلّف عبد الحميد مهري بتمثيل جبهة التحرير في سوريا.[4]

Abdellah Righi:Ahmed Francis(1910-1968)Le docteur en politique,Edition ANEP,Rouiba,2007,pp:93-94.

1- ورد في رسالة من عبّان رمضان إلى وفد القاهرة مؤرّخة في 1955/11/04"..بن بلّة وبوضياف فهما مكلفان فقط بمصلحة العتاد والاتصال بنا".عد إلى المصدر في:مبروك بلحسين: المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر- القاهرة)1954-1956 مؤتمر الصومام في مسار الثورة التحريرية،ترجمة الصادق عماري، دار القصبة للنشر،الجزائر،2004،ص ص:114-115،وللاطلاع على تفاصيل عمليات التسليح خلال هذه المرحلة وإلى غاية 1962 عد إلى:عبد المجيد بوزيد: الإمداد خلال حرب التحرير الجزائرية-شهادتي...ـــط الثانية مراجعة ومنقّحة، وزارة المجاهدين،أكتوبر 2007،الجزائر.

2 -Abderrahmane Kiouane:Op cit,p 74Mabrouk Belhocine:Op.Cit,pp:140-144.

2-Abdellah Righi:Op cit,pp:95-96.

4- عبد الحميد زوزو:المصدر السابق،ص 493.

وورد في رسالة مُحَّد خيضر إلى عبّان رمضان في 21 فيفري 1956 بأنّ الوفد حدّد خمس مراكز أساسية للنشاط الدعائي عبر العالم وهي:

-**القاهرة:** يتولّى خيضر الإشراف عليها ويساعده مُحَّد يزيد، ويشمل مجال نشاطها:مصر، السعودية، السودان، وليبيا، وعُيّن دبّاغين مبعوثا متجوّلا للمكتب في الشرق الأوسط.

-**دمشق:** ويُشرف عليها عبد الحميد مهري، ومجالها: سوريا، لبنان، والأردن.

-**بغداد:** ويُشرف عليها أحمد بودة، ومجالها: العراق، الكويت، والخليج الفارسي.

-**جاكارتا:** ويُشرف عليها حسين لحول، ومجالها قارة آسيا كلّها.

-**نيويورك:** تقرر تشكيل بعثة دائمة بها يُشرف عليها حسين آيت أحمد، ومجالها: الولايات المتحدة، وتمثيل الجبهة في الأمم المتحدة، ولاحقا كل أمريكا اللاتينية.[1]

3- دور بوضياف في ربط العلاقات بين الوفد الخارجي وقيادة الثورة في الداخل :

ذكر مُحَّد خيضر في محضر استنطاقه من طرف مصالح الأمن الفرنسية بأن التنسيق كان جاريا بين قيادة الجبهة في الداخل في الجزائر وبين الوفد الخارجي لجبهة ت.و. بالقاهرة فيما يتعلّق بالتوجهات السياسية، ويتم الاتصال بقيادة جبهة.ت.و بالداخل بعدة طرق، مثل استعمال المكاتب الخارجية وعن طريق المراسلات، حيث كانت للبعثة علب للرسائل في باريس وفي بلجيكا، وكذلك عن طريق كل من تونس والمغرب، حيث يتكفّل بنقل هذه المراسلات إلى الجزائر عن طريق وكلاء اتصال***Agents de liaison*** الذين يقومون بتهريبها عبر الحدود.[2]

والقارئ لكتاب مبروك بلحسين أحد إطارات ج.ت.و بالخارج والموسوم بـ: "المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر- القاهرة) يمكنه أن يطّلع على مراسلات عديدة وهامّة تمّت بين قيادة الثورة بالداخل - لجنة

1- إسم مستعار لمحمد بوضياف، ينظر مبروك بلحسين:المراسلات،المصدر السابق،ص ص:81-82.
2- مبروك بلحسين: نفسه،ص:82.

التنسيق والتنفيذ- وقيادة الوفد الخارجي بالقاهرة خاصّة بين عبّان رمضان مُحَمَّد خيضر، والتي قدّمت صورة واضحة عن طبيعة العلاقات بين قيادة الثورة بالداخل وأعضاء الوفد الخارجي بالقاهرة، وإجمالا يمكننا أن نبدي الملاحظات والاستنتاجات التالية بخصوصها:

- أن أوّل مراسلة تعود إلى يوم 29 أكتوبر 1954 وهي موجّهة من منسق لجنة الستة مُحَمَّد بوضياف "طبيب"[1] من مكان تواجده ببرن بسويسرا، والتي أبلغ فيها وفد القاهرة بأنّ تاريخ اندلاع الثورة حُدِّد بيوم الفاتح من نوفمبر 1954، وعليهم الاستعداد لإذاعة ذلك عبر "صوت العرب" ليلة الاثنين 31 أكتوبر، كما أعلمهم بأنّ التمثيل الخارجي للثورة منوط بالثلاثة المقيمين بالقاهرة (خيضر، بن بلّة، آيت أحمد).[2]

- أنّ المراسلات الموجّهة من قيادة الداخل إما توجّه تعليمات لأعضاء بعثة القاهرة، وما ينبغي فعله في مواجهة التطورات على الساحة الجزائرية، أو كانت تطلب مد قوات جيش.ت.و بالأسلحة والمال للمحافظة على معنويات المقاتلين، كما تضمّن بعضها وصفا للوضع الداخلي وتطلُبُ معلومات حول ما يجري في الخارج، وبعضها يُعلم بوصول أو قُرب وصول عناصر -وهي إطارات- أرسلت لتوظيفها في تمثيل الثورة بالخارج.[3]

- تناولت رسائل الوفد الخارجي للقيادة بالداخل إجابات حول بعض الاستفسارات، ومساهمات في مناقشة بعض المسائل المطروحة، وطلبات بإرسال إطارات للخارج لتأطير العمل هناك.

- من خلال بعض هذه المراسلات يمكن أن نستنج انقطاع في المراسلة والرد على بعضها من هذا الطرف أو من الطرف الآخر، مثلما ورد في مراسلة يوم 20 سبتمبر 1955، كما أنّ تعقيدات توصيلها بحيث يلجأ المتراسلون إلى استعمال محطّات كثيرة قبل أن تصل إلى المرسل إليه، مما أدّى إلى طول فترة وصول

1- على سبيل المثال الرسالة التي بعث بها عبّان رمضان إلى الوفد الخارجي والمؤرخة يوم 20 سبتمبر 1955،عد إلى:مبروك بلحسين:المصدر نفسه،ص ص:94-97.

2- مثال ذلك أن رسالة عبّان المؤرخة في:1955/11/04 لم تصل الوفد الخارجي إلا بعد شهر أي يوم 1955/12/04،ينظر:مبروك بلحسين:نفسه،ص ص.117-119.

ويبرر عبّان هذا التأخر بقوله:"لأننا نستعمل محطات كثيرة،هنا نحن غارقون في العمل،وقد تسارعت الأحداث..."،عد إلى نص الرسالة في: مبروك بلحسين:المصدر نفسه،ص ص:125-126.

3- رسالة عبّان للوفد الخارجي:مبروك بلحسين:المصدر نفسه،ص ص:94-97.

الرسائل وتأخر الردود كذلك.[1]

- أنّ قيادة ج.ت.و بالداخل لم تكن راضية على عدم تمكّن أعضاء الوفد الخارجي من إدخال الأسلحة التي يقولون بأنّهم حصلوا عليها، ونظرا لتأخر وصول إجابة الوفد الخارجي عن أسباب عدم إدخال الأسلحة كان عبّان رمضان يفكّر في إرسال مناضلين آخرين إلى ليبيا ومصر لاستقدام الأسلحة والذخيرة، وذلك أمام عجز الوفد الخارجي عن إدخال الأسلحة التي أكّد بوضياف الحصول عليها.[2]

وعلى ما يبدو فإنّ فشل الوفد الخارجي وبخاصة أحمد بن بلّة ومُحَمّد بوضياف في إدخال الأسلحة على إثر العمليات البحرية التي اكتشفتها السلطات الفرنسية زادت في تعكير الأجواء بين الوفد الخارجي وقادة الثورة بالداخل وعبّان بالخصوص، فبعد عملية "اليخت دينا" في فيفري 1955 والتي نجحت رغم اكتشاف أمرها بعد تفريغ قسم هام من حمولتها، إلا أنّ عمليات أخرى اكتشفت وصودرت حمولاتها الهامّة مثل: عملية "السفينة آتوس" التي اكتشفت في 1956/10/17.[3]

- أنّ هذه المراسلات حتى وإن كانت تؤكّد على وحدة الصف وتجنّب كل ما من شأنه أن يعيق تطور الثورة وانتصارها، إلا أنّها عبّرت عن تشنّجات وتوترات انتابت العلاقة بين الداخل والخارج حتى قبل مؤتمر الصومام 20 أوت 1956، ولا أدلّ على ذلك من رسالة عبّان رمضان المؤرخة في 4 نوفمبر 1955، والتي لخّص مضمونها مبروك بلحسين بقوله: "وابتداء من الآن فإنّ عبّان القوي بمو الحركة الثورية في الجزائر يريد أن يعلم كل واحد أنّ "مسئولي الداخل ليسوا على استعداد للقيام بدور الحمّاسين" لحساب مالكين للثورة مستقرين على ضفاف النيل على بعد 5000كم من ميدان المعركة".[4]

- تضمّنت بعض رسائل قيادة الداخل توجيهات بخصوص موقف وفد ج.ت.و. تجاه أي عرض

1- للمزيد ينظر: عبد المجيد بوجلة: الثورة التحريرية في الولاية الخامسة 1954-1962،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشراف:د.يوسف مناصرية،جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان،كلية الآداب والعلوم الإنسانيةوالاجتماعية،قسم التاريخ،2008/2007،ص ص:222-239.

2- عد إلى نص الرسالة وتعليق بلحسين في:مبروك بلحسين:المصدر السابق،ص ص:114-116.

3- مبروك بلحسين:المصدر السابق، ص ص: 125-126.

4 - المصدر نفسه، ص ص:81-82.

تفاوضي فرنسي، مثل رسالة عبّان المؤرخة في 1956/01/06 وأهم ما تضمّنته بهذا الخصوص:

رفض الطاولة المستديرة-المحادثات تكون بين الحكومة الفرنسية وج.ت.وفقط-لا يشارك أي شخص أو حزب سياسي آخر في إبداء رأيه.[1]

- عمد المتراسلون من الداخل والخارجإلى استعمال عبارات أشبه بالشفرة أو الرموز التي يمكن تأويلها من الطرف الآخر، مثلما فعل بوضياف في مراسلته ليوم 29 أكتوبر 1954 فقد حدّد تاريخ انطلاق الثورة بعبارات مشفّرة: "..فإنّ الختان سيكون في أوّل نوفمبر على الساعة الواحدة (13مساء).."[2]، وفي فترة لاحقة أصبح المتراسلون يستعملون مختصرات الأسماء، وكل ذلك تجنّبا لمخاطر وقوعها في أيدي السلطات الفرنسية.

- محاولة تصويب بعض الآراء والتصريحات التي تتعارض مع رأي قيادة الثورة بالداخل، من ذلك مثلا ما جاء في مراسلة بن يوسف بن خدّة (صالح خليفة)[3] المؤرخة في 1956/07/24 إلى جماعة القاهرة بشأن تصريحات أطلقها فرحات عبّاس بشأن شروط ج.ت.و لوقف القتال حيث ربطها بـ: " أن تعترف فرنسا للجزائريين بحقّهم في الاستقلال"، فانتقدت القيادة في الداخل هذا التعبير واقترحوا شرط: "باستقلال الجزائر"، وألّح بن خدّة في رسالته على ضرورة توحيد المواقف بين قيادة الجبهة في الجزائر وممثلي الوفد الخارجي بالقاهرة.[4]

كما ذكر محمّد يزيد في تقريره إلى م.و.ث.ج بأن " تعليمات تم تبليغها إلى الوفد الخارجي في بداية نوفمبر 1954 من الإخوة في الداخل بواسطة محمّد بوضياف.."[5]، وهو ما يبيّن بأن الوفد الخارجي بالقاهرة كان يسير وفق تعليمات واستراتيجية وضعتها قيادة الثورة بالداخل، والمقصود بها لجنة الستة التي تعد بمثابة القيادة العليا

1- ولد في 02/23/ 1920 بالبرواقية، من قيادي حزب الشعب الجزائري، إلتحق بالثورة بعد خروجه من السجن في أفريل 1955 تولى مهام كبرى في الثورة أهمها رئاسته للحكومة المؤقتة الثالثة، إنسحب بعد سنة 1962 من الحياةالسياسيةإستثناء مرات قليلة،ينظر:محمّد حربي، الثورة الجزائرية،سنوات المخاض،ترجمة نجيب عبا د وصالح المثلوثي، الجزائر،ط.موفم للنشر 1994، مرجع سابق، ص 183.

2 - في غياب عبّان رمضان عن مدينة الجزائر في جويلية 1956 كلّف بن خدّة بالرد على مراسلات القاهرة،والرسالة موقعة باسم مستعار لبن خدّة(صالح خليفة آيت أحمد)،عد إلى نص الرسالة:في:مبروك بلحسين: نفسه،ص ص:196-199

3 - عد إلى نص التقرير في:

Mohammed Harbi:Les archives de la révolution algerienne,Op cit,pp172-174.

4- وقد أكّد المدني-الذي كلّف بالاتصال بعائلة خيضر-تصفية -تسوية -الحساب المالي مع الوفد،عد إلى: أحمد توفيق المدني:المصدر السابق،ص 271.

5- أحمد توفيق المدني:المصدر نفسه، ص ص:298-299.

للثورة آنذاك، والتي يُعدّ مُحَمَّد بوضياف منسقها مع الخارج، وهذا قبل استحداث لجنة التنسيق والتنفيذ والمجلس الوطني للثورة الجزائرية(CNRA) في مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956.

4- دور بوضياف في مالية الوفد الخارجي لجبهة ت.و :

ذكر مُحَمَّد خيضر مسئول الوفد الخارجي بشأن مصادر التمويل المعتمد عليها في تمويل نشاط وفد جبهة التحرير في الخارج: ".. الموارد المالية الخاصة بالوفد الخارجي فهي من مصدرين:

- القسم الكبير منها مصدره الإعانات التي تُخصصها الدول العربية.

- أما الباقي فمصدره جامعة الدول العربية، بحيث تدفع الدول الأعضاء مساهماتها الموجهة لأقطار المغرب العربي- الجزائر، تونس والمغرب الأقصى-وهي ضئيلة مقارنة بالأولى".

في بداية الثورة وإلى غاية نهاية أكتوبر 1956 كان التنظيم المالي للوفد الخارجي بسيطا وفي هذا الشأن يذكر أحمد توفيق المدني أنّ مال الوفد كان وديعة عند مُحَمَّد خيضر، وتمّ استرجاعه من زوجة خيضر المقيمة وأسرتها بالقاهرة وما تم استرجاعه عبارة عن صكوك بنكية وعددها صكين على بياض و 250 جنيها مصريا و 3933 دولارا، والتي تمّ إيداعها لأمين المال عمر دردور ورئيس وفد ج.ت.و مُحَمَّد لمين دبّاغين.[1]

كان اتفاق الحكومات العربية ومصر يقضي بتسليم المبالغ المقدّمة لجبهة .ت.و إلى الخزينة المصرية ثم تتولى الحكومة المصرية الإنفاق منها لتلبية ما تحتاج إليه الجبهة، ومنها ما كان يدفع لأمانة مال الجامعة العربية، لكن بعد أن تنظّمت شؤون الثورة في أعقاب مؤتمر الصومام وظهور الهيئة التنفيذية للثورة والمسماة بلجنة التنسيق والتنفيذ لم تعد قيادة الوفد الخارجي ترى من ضرورة لاستمرار الوصاية المصرية على مالية ج.ت.و، فطالب الوفد الخارجي بأن تدفع الدول العربية مساهماتها ومساعداتها مباشرة إلى وفد ج.ت.و دون وساطة، لكن معظم البلدان العربية أصرّت على تنفيذ اتفاقها مع مصر بهذا الشأن، باستثناء العراق الذي كان يسلّم مبالغ مالية لممثل ج.ت.و ببغداد أحمد بودا، وكان يتم إيداع هذه المبالغ في البنك السوري بدمشق لما كانت تتمتّع به سوريا من حرية مالية بحيث تدخل إليها مختلف أنواع العملات الأجنبية وتخرج منها دون تضييق أو

1- عبد الحميد زوزو:المصدر السابق،ص ص:492-493.

رقابة.[1]

صُرفت هذه الأموال في عدة وجوه، منها مصاريف أعضاء الوفد الخارجي، وتغطية تكاليف التنقل داخل التراب المصري وخارجه، وفي الإجمال تغطية مصاريف البعثات الدائمة ومكاتب جبهة التحرير الوطني بالخارج.."[2]

تناولت تقارير الشرطة والمخابرات الفرنسية هذه المسألة "مصادر تمويل جبهة التحرير الوطني" بشكل مفصّل من خلال تقارير أعدّتها مصالح متخصّصة في الشؤون المالية، وحتّى وإن بالغت في بعض الأحيان في بعض التقديرات التي لم تذكر مصادرها إلا أنّها تبقى مصدرا هاما لدراسة هذا الموضوع وذلك لعدة اعتبارات منه:

- غياب دراسات ووثائق بهذا الشأن من جانب جبهة التحرير خاصّة في الفترة الممتدة من 1954 إلى1958.

- اعتماد بعض هذه التقارير الفرنسية على وثائق لجبهة التحرير تمّت مصادرتها، خاصة مسئولي الوفد الخارجي الأوائل: مُحَمَّد خيضر، أحمد بن بلّة[3]، مُحَمَّد بوضياف[4]، إضافة إلى وثائق صودرت في باريس يوم 26 فيفري1957 وهي من تحرير الدكتور الأمين دبّاغين الذي أصبح مسئولا عن الوفد الخارجي للجبهة اختطاف قادة الوفد الخاري يوم 1956/10/22.[5]

1 -A.N.O.M:81F/110,FONDS MINISTÉRIELS, Premier ministre, Notice de Documentation, très secret, Les animateurs de la Rébellion Algérienne, TII (B-Bi),Ben Bella Ahmed, pp: 81-88.

2 -A.N.O.M:81F/110,FONDS MINISTÉRIELS, Les animateurs de la Rébellion Algérienne, T III (Bou-Br),Boudiaf Mohamed, pp: 148-151.

3 -A.N.O.M:81F/110,FONDS MINISTÉRIELS,Ministére de l'intérieure,Ressources d'origine étrangere-secret-,p2.

4-AOM:81F/110,FONDS MINISTÉRIELS,Ministére de l'intérieure,Ressources d'origine étrangere-secret-,p:1-2.

5- يُقصد بالعلاقات الدبلوماسية اصطلاحا العلاقات بين دولتين أو عدة دول، وتدلّ على أنها تفضّل التسالم والتفاهم على التغالب والتنازع، وتترجم العلاقات الدبلوماسية عبر وزارات الخارجية، بإنشاء سفارات وقنصليات أو أجهزة تمثيل بين الدول المنتمية إلى الأمم المتحدة، والمعترفة ببعضها، ولكل سفارة: هيئة دبلوماسية (Corps Diplomatique) ومقر عام، مع فروع، وحقيبة دبلوماسية، وحصانة وجهاز أمني خاص، عد إلى: خليل أحمد خليل: معجم المصطلحات السياسية والدبلوماسية، ص ص: 140-141.

وينبغي أن نظيف في هذا الشأن بأن هذه التقارير الفرنسية تناولت تمويل جبهة التحرير الوطني بصفة عامة وليس تمويل الوفد الخارجي فحسب، الذي يعد جزء فقط.

سجّل الدعم المالي الخارجي للثورة الجزائرية نموا كبيرا وهو ما يعكس حجم نشاط الوفد الخارجي وتجاوب الدول العربية بالخصوص مع طلبات الدعم المالي والمادي، لأن الدول العربية وجامعة الدول العربية هي الممول الرئيسي للجبهة في الفترة الممتدة من 1954 إلى غاية سنة 1958 تقريبا.

- فقد عملت الدول العربية العضوة في الجامعة العربية خصوصا على وضع أموال هامّة تحت تصرف الحركات الوطنية التحررية لشمال إفريقيا من خلال مكتب المغرب العربي الذي شكّل واسطة بين الدول العربية الداعمة وبين الأحزاب الوطنية المدعومة.

لم تتضمّن هذه التقارير إجمالي المبالغ المالية التي تلقّتها الجبهة من الدول العربية خلال الفترة الممتدة من 1954 إلى 1957، واكتفت بذكر مبالغ مفصّلة تلقّاها أعضاء الوفد الخارجي مثل أحمد بن بلّة ومحمّد بوضياف بالخصوص من المسئول في المخابرات المصرية فتحي الديب المكلّف بقسم إفريقيا الشمالية، ونذكر أمثلة على ذلك:

- في سبتمبر 1955 تلقّى 3500 جنيها مصريا.
- في مارس 1956 قدّم لأحمد بن بلّة 150000فرنكا فرنسيا.
- في مارس 1956 قدّم لأحمد بن بلّة 100000ف/ف
- ماي 1956 قدم لأحمد بن بلّة 600000 ف/ف
- 25جوان1956 قدم لأحمد بن بلّة 100000ف/ف

وتلقّى محمّد بوضياف من ذات المسؤول المصري 21500 ف/ف على خمس دفعات.

وفق هذا المفهوم الأكاديمي هل توفّرت هذه الشروط في العلاقات الخارجية لجبهة التحرير الوطني خلال الفترة 1954 إلى1960 أو حتى إلى 1962؟ ربّما توفر بعضها لكن لم يتوفّر البعض الآخر، لذلك يستهي البعض دبلوماسية ج.ت.و بدبلوماسية حرب أو ثورة، عد إلى:
Abderrahmane Kiouane:Les débuts d'une diplomatie de guerre.

وقدّمت سوريا في ماي 1956 إلى الأمانة العامة للجامعة العربية صكا بقيمة 50000 جنيها استرلينيا.[1]

إنّ مقارنة هذه الأموال -التي تمثّل جزءا فقط مما كان يحصل عليه ممثلو الوفد بالخارج- بما كان ينفقه أعضاء الوفد على شراء شُحنات الأسلحة وتنقلاتهم الكثيرة يُثبت بأنّ الوفد كان يحصل على أموال أكبر من مصادر أخرى، وهي التي تسميها الوثائق الفرنسية بمصادر التمويل الداخلية الخاصّة بالشعب الجزائري سواء في الجزائر أو في المهجر بفرنسا وهو ما سنتناوله لاحقا.

5- بوضياف وبن بلة ينسجان شبكة علاقات دولية:

وبالنظر إلى أن الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني لم تكن مهامه دبلوماسية[2] دعائية محضة بل كانت تتعدّاها إلى ميادين أخرى مثل شراء الأسلحة والإشراف الشخصي على نقلها، هذه المهمة الصعبة كانت تتطلّب ربط علاقات بشبكات دولية سرية لبيع الأسلحة ثم فيما بعد نقلها عبر سفن أو مراكب بحرية، وهي المهمّة التي تخصّص فيها بامتياز أحمد بن بلّة برفقة مُحَمَّد بوضياففواللذان ربطتهما علاقات متينة بعدّة شخصيات مصرية وأوربية سهّلت لهما المأمورية، ونذكر من هؤلاء:

- العقيد عزّت سليمان مسؤول المخابرات المصرية.
- الضابط فتحي الديب المكلّف بمتابعة ملف شمال إفريقيا والتنسيق مع قيادة الثورة الجزائرية في المخابرات المصرية.
- العقيد النجّار الملحق العسكري المصري بالسفارة المصرية بمدريد والذي تعتبره المخابرات المصرية بمثابة الوسيط في صفقات الأسلحة التي كان يقوم بها أعضاء الوفد الخارجي خاصّة أحمد بن بلّة.
- الضابط سيرج بايكوف *Serge Baikoff* الضابط السابق في البحرية اليوغسلافية وتاجر

1- يشير تقرير فرنسي بأنّ الوثائق التي صودرت من بلة بن اختطافه رفقة القادة الآخرين دلّت على هذه الاتصالات حيث عثر فيها على أرقام الهواتف الخاصة بفتحي الديب وعزت سليمان بما فيها أرقام هواتف منازلهم، وهو ما بين مدى العلاقة التي ربطت بن بلّة وأعضاء الوفد بهؤلاء وقدرة القادة الجزائريين على نسج علاقات تعود بالفائدة على الثورة، يُنظر في:
A.N.O.M : FONDS MINISTÉRIELS,b: 81F/110, Premier ministre, Notice de Documentation, très secret, «Les animateurs de la Rébellion Algérienne», T II (B-Bi),Ben Bella Ahmed,pp:81-88.

2 -Benjamin Stora-ZAKYA Daoud: Op.cit,p255.

الأسلحة والذي كان يقيم في روما الايطالية.[1]

ثمّ بعد ذلك تأتي المرحلة المكمّلة والهامة وهي الحصول على موافقة تونس بالخصوص على تمرير الأسلحة عبر أراضيها ثم إدخالها إلى الجزائر عبر نقاط محدّدة على الحدود التونسية الجزائرية، هذه النقطة بالذات تناولتها اجتماعات الوفد الخارجي ومن ضمنها اجتماع 27 أفريل 1956 الذي ترأسه مُحَمَّد خيضر بحضور: مُحَمَّد لمين دبّاغين، فرحات عبّاس، أحمد توفيق المدني، عبّاس بن الشيخ الحسين، وأحمد فرنسيس.

هذه الاتصالات على ما يبدو آتت أُكُلها فقد أصبحت كتائب جيش التحرير العابرة للحدود مع تونس تلقى كل التعاون والترحاب، يمكّنون من الأسلحة والذخيرة ويتمّ التكفل بالجرحى الجزائريين وينقل المتضررون منهم إلى العاصمة تونس لمزيد من العناية الطبية،وأصبح الحرس الوطني التونسي ينقل عبر شاحناته أسلحة جبهة.ت.و، بالإضافة إلى تهيئة مخازن لتفريغ شحنات الأسلحة التي تقتنيها ج.ت.و من الخارج، وتحوّلت مقرات الحزب الدستوري والثكنات التونسية إلى مخازن لج.ت.و.[2]

وفي ذات السياق عمل أحمد بن بلّة ومُحَمَّد بوضياف بالتنسيق مع المقاومين المغاربة لترتيب عمليات نقل شحنات الأسلحة التي يحصل عليها الوفد الخارجي من الأشقاء العرب أو التي يتم شراؤها، نقلها بحرا إلى غاية الناظور في المغرب الأقصى تمهيدا لنقلها إلى الجزائر عبر المنطقة الحدودية الغربية.[3]

ربطت مسؤولي الوفد الخارجي لـ ج.ت.و علاقات متشعبة بمختلف أجهزة السلطة المصرية، ومنها مصالح المخابرات المصرية وبمسؤولين كبيرين فيها وهما فتحي الديب وعزّت سليمان، والذين كانا بمثابة الواسطة التي تصلهم بالنظام المصري، والذين كانا يلبيان طلبات الوفد مثل تسهيل الحصول على رخص المرور

1- عبد المجيد بوجلة: الثورة التحريرية في الولاية الخامسة 1954-1962، المرجع السابق، ص 222.

2- عبد الحميد زوزو: المصدر السابق ، ص 495.

مثلا بعد التحاق عبد الرحمن كيوان بالوفد في القاهرة في أفريل 1956 تمّ تكليفه بتحرير وتقديم ركن باللغة الفرنسية في إطار برنامج "ركن المغرب" والذي كان يقدّم عبر إذاعة "صوت العرب" التي كان يُشرف عليها آنذاك أحمد سعيد، وذكر أحمد توفيق المدني أنّه كُلّف من طرف الوفد الخارجي "بالدعاية ونشر بيان يومي عن الثورة وتحرير برنامج إذاعي لصوت العرب" عد إلى: أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ص 155، وكذلك:

Abderrahmane Kiouane:Op.cit,7

3- معظم المصادر والمراجع تتفق على تاريخ الاختطاف في 10/22 باستثناء مبروك بلحسين الذي ذكر تاريخ 1956/10/23؟ينظر:مبروك بلحسين:المصدر السابق، ص 56.

ووثائق الهوية، وتسهيلات الإقامة، وكل ما من شأنه تطوير النشاط الدعائي لجبهة.ت.و في وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة.[1]

وفي يوم 22 أكتوبر 1956[2] اختطف محمد بوضياف رفقة محمد خيضر، بن بلّة، آيت أحمد في الطائرة المغربية المتوجهة من المملكة المغربية إلى تونس من أجل تمثيل جبهة التحرير الوطني في ندوة تونس المغاربية، والتي كان مقررا أن تجمع كلا من الرئيس التونسي لحبيب بورقيبة والملك المغربي محمد الخامس والوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، حيث تمّ تحويل الطائرة إلى مطار الدار البيضاء في الجزائر واعتقال أعضاء الوفد الخارجي ومحمد بوضياف.[3]

خاتمـــة :

لعب بوضياف دورا بارزا في التحضير للثورة وتفجيرها وهوما رشحه لأن يكون منسق لجنة الستة النواة القيادية الأولى للثورة الجزائرية، لذا فقد عمل على التنسيق بين المناطق الخمس في الداخل وبن قيادة الثورة في الداخل وقيادة الوفد الخارجي لجبهة.ت.و بالقاهرة، ولما اندلعت الثورة وتعذر على بوضياف العودة إلى أرض الوطن لممارسة مهامه منسقا استقر بالقاهرة والتحق بالوفد الخارجي.

لعب بوضياف دورا مهما في جمع الأموال وشراء الأسلحة والعمل على تسهيل عملية تمريرها إلى الداخل عبر الحدود التونسية والمغربية الجزائرية وكان خير معين لبن بلة في هذه المهمة التي أوكلت له ضمن وفد ج.ت.و، ورغم أن بوضياف تنازل عمليا عن دور المنسق إلا أنه لم يتراجع عن دوره الثوري من موقعه وحاول حشد الطاقات الجزائرية والعربية والمغاربية لإنجاح الثورة وفك الحصار عنها وذلك من خلال عمله على وضع أسس متينة لعمل فدرالية ج.ت.و بفرنسا ومن خلال السعي لتنسيق الجهود مع المغاربيين لتثوير كل المنطقة وتنسيق الجهد العسكري من خلال إنشاء جيش التحرير المغاربي.

1- نجم عن هذا الحادث ردود فعل عربية رسمية وشعبية زادت من التفاف البلدان العربية حول جبهة التحرير والقضية الجزائرية،عد إلى جريدتي: البعث السورية:العدد27،الجمعة تشرين الثاني1956، وجريدة التحرير السورية:العدد26،46تشرين الثاني 1956، وأيضا:بسمة خليفه أبو لسين:الليبيون والثورة الجزائرية، دراسة جهود لجنة جمع التبرعات لمساعدة الجزائر في إقليم ولاية طرابلس الغرب 1954-1962، منشورات م.و.د.ح.و.ث.1954/11/1،الجزائر، د.ت، ص ص:74-75.

1- بيرم كمال : معالم الحركة الوطنية بإقليم المسيلة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2014 ص ص34-55.

3- أنظر الشهاب، اعداد 1931 – 1932 –1933